

شرح أصول الكافي

[68] باب الهداية أنها من ا عَزَّوَجَلَّ * الأصل: 1 - " عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن إسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن ثابت بن سعيد قال: قال أبو عبد ا (عليه السلام): يا ثابت مالك وللناس، كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى أمركم، فوا ا لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدا يريد ا ضلالته ما استطاعوا على أن يهدوه، ولو أن أهل السموات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد ا هدايته ما استطاعوا أن يضلوه، كفوا عن الناس ولا يقول أحد: عمي وأخي وابن عمي وجاري فإن ا إذا أراد بعبد خيرا طيب روحه فلا يسمع معروفا إلا عرفه ولا منكرا إلا أنكره. ثم يقذف ا في قلبه كلمة يجمع بها أمره ". * الشرح: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن إسماعيل السراج (في بعض النسخ، عن أبي إسماعيل السراج وهو الأظهر، وأسمه عبد ا بن عثمان (عن ابن مسكان عن ثابت بن سعيد) قال: قال أبو عبد ا (عليه السلام) يا ثابت مالك وللناس؟) الواو للعطف على الضمير المجرور بإعادة الجار، والعامل معنوي يشعر به كلمة الاستفهام وحرف الجر الطالبان للفعل، والمعنى: ما تصنعون أنتم والناس، والمقصود هو الحث على التباعد منهم وترك المبالغة والمخاصمة معهم في أمر الدين (كفوا) أنفسكم (عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى أمركم) الأمر بالكف والنهي عن الدعاء إما لأجل ما كان في ذلك الزمان من شدة التقية من أهل الجور والعدوان، وإما لأن القصد منه ترك المبالغة في الدعاء وعدم المخاصمة في أمر الدين وذلك لأن المستعد لقبوله يكفيه أدنى الإشارة والمبطل لاستعداد الفطري لا ينفعه السيف والسنان فكيف المخاصمة باللسان (فوا ا لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدا) أن يوصلوه إلى المطلوب ولو بالجبر وإنما فسرنا بذلك لأن الهداية بمعنى إراءة الطريق والإرشاد يجتمع مع الضلالة (يريد ا ضلالته) أي عذابه وإرشاده في الآخرة إلى طريق جهنم بسبب كفره وعصيانته اختيارا في الدنيا، هذا إن اريد بالإرادة معناها المعروف وأما إن اريد بها العلم الأزلي والذكر الأولي وقد أشرنا سابقا إلى أنها تجئ لهذا المعنى أيضا فلا حاجة إلى ذلك التوجيه، لأن من علم ا تعالى ضلالته في الأزل باختياره فهو يموت ضالا ولا ينفعه نصح الناصح (ما استطاعوا) أي ما قدرُوا (على أن